لثورة فلسطين الثانية في يافا والتي حدثت « يوم الاحد الواقع في أول ايار ١٩٢١ » — وهو يوم عيد العمال — حيث امتدت هذه الثورة الى المناطق المجاورة ليافا ثم الى منطقة اللد والرملة والمجدل. وبالرغم من اعتراف الغوري ان هذه الثورة «كانت اعظم من ثورة القدس واوسع نطاقا ، وقد سقط فيها المئات من الشهداء والجرحى العرب وقتل وجرح اكثر من (٥٥٠) يهوديا وجنديا بريطانيا » الا أنه لا يستطيع « وصف هذه الثورة » كما وصف ثورة القدس ، « لانني كنت بعيدا عنها أتلقى اخبارها سماعا على حد تعبيره . لقد نسي الغوري ثورة يافا لانها من صنع قطاعات شعبية لم تكن خاضعة لرجالات الاقطاع الفلسطينيين .

قد يتفاخر الغوري — وهذه مسألة خاصة به وحده — بقيادة الحاج امين الحسيني للحركة الوطنية الفلسطينية حتى عام ١٩٤٨ وبفشل المحاولات الاخرى التي نافسته على زعامة الحركة الوطنية والتي كانت « تتحطم على صخرة صموده » وثقة الشعب به كما يدعي الغوري ، الا انه لا يستطيع خداع حركة التمرد الفلسطينية والعربية والجماهير الملتفة حول قيادتها المعاصرة بمثل هذه الادعاءات . ان تفرد طبقة ملاك الارض من الاقطاعيين وغيرهم من الزعامات العائلية الدينية والطبقة الكومبرادورية المهلهلة .. ان تفرد هؤلاء بزعامة الحركة الوطنية الفلسطينية في تلك المرحلة من تاريخ فلسطين كان سببه عدم نمو طبقة برجوازية رأسمالية قوية نسبيا تقود النضال وتحول قسما من الفلاحين الفلسطينيين الى عمال في المدن.

ويذكر الغوري في نهاية الجزء الاول من مؤلفه ان عز الدين القسام الذي قاد حركة تمرد مسلحة عام ١٩٣٥ واستشهد في احدى المعارك مع رفاق اخرين له كان يعمل وفقا لاوامر صادرة عن الحاج امين الحسيني . هذا مع العلم ان الغوري يعترف بخروج حركة القسام من « تنظيم الحاج امين الحسيني السري » دون ذكر أسباب هذا الخروج . ان الثورة التي قادها عز الدين القسام في اواخر عام ١٩٣٥ على أساس مبادرة شعبية ضد الاستعمار الانكليزي والوجود الصهيوني على حد سواء لم يكن للزعامات التقليدية الفلسطينية علاقة حقيقية بقيامها . بالرغم من انها هيمنت عليها فيما بعد وقادتها الى حتفها بعد تشكيل الهيئة العربية العليا (الغوري عضو فيها وممثل حكومة عموم فلسطين في الامم المتحدة بعد عام ١٩٤٨) التي كانت — ولا تزال — تسيطر عليها الزعامات الدينية التقليدية والعائلات البرجوازية والاقطاعية الفلسطينية .. هذه القيادات لم تنظر بارتياح لثورة عز الدين القسام ولم تعتبر ان استمرارها هو مهمتها الاساسية . وكانت نضالات هذه القيادات تبلغ ذروتها ضد الاستعمار الانكليزي والوجود الصهيوني المتزايد بأن تسير تظاهرات الاحتجاج وترفع لوائح وعرائض تجمع تواقيع الوجهاء عليها للاحتجاج ضد الامتيازات التي كان يمنحها الانكليز للمهاجرين الجدد من اليهود .

على الغوري ان يدرك — قبل غيره — انه منذ اللحظة الاولى لاندلاع ثورة القسام التي تألفت من عناصر كادحة وفقيرة رفضت القيادات الاقطاعية الدينية واحزاب العائلات الكبيرة الاستجابة لنداء الثورة . وطالبت هذه القيادات الاقطاعية باعتماد الوسائل السلمية لانتزاع الحقوق الوطنية كالتظاهرات والمباحثات لان « الامور مرهونة باوقاتها .. وليس من مصلحة الشعب والبلاد ان يقوم اصطدام جدي مع الانكليز قبل ان تتم التهيئة الكاملة له » — كما جاء على لسان الغوري نقلا من الحاج امين الحسيني — .

وعلى بقايا الاقطاع الرجعي الفلسطيني ان تدرك ان قيادات هذا الاقطاع هي التي اجهضت الثورة التي قادها القسام في الداخل بعد أن عجزت عن اجهاضها من الخارج ، وذلك بعد أن ثبتت الثورة المسلحة اقدامها وحصلت بالقوة على تأييد الاحزاب الاقطاعية لها . فبعد ثلاث سنوات من الثورة المتصلة تمكنت هذه القيادات من محاصرة الثورة واجهاضها بقرار ونداء موجه من الملوك والرؤساء العرب بانهاء الثورة ، اثر زيارة قام بها (نوري السعيد) للقدس في آب عام ١٩٣٦ واجتمع خلالها بزعامات المدينة والاقطاعية لدراسة الوضع الناشىء عن قيام الثورة المسلحة في فلسطين . وتولى الحاج أمين الحسيني أمر توجيه قرار ونداء الملوك والرؤساء العرب الى الثوار وتنفيذه .. مع وعد بالدخول في مفاوضات مع بريطانيا (علها) تتفهم حق شعب فلسطين في تقرير مصيره ونيل استقلاله .

مصطفى كركوتي